إنتاج كتابي

حول التلقيح

إنْ نَسِيتُ قُلْنُ أنّسَى يَوْمَ زَارَنَا الطّبِيبُ أثْنَاءَ حِصّةِ العُلُومِ لإجْرَاءِ التّلَقِيحِ وَبَعْضِ الفَحُوصَاتِ، يَوْمَهَا أعْلَمَنَا مُعَلّمَنَا أنّ طَبِيبًا سَيَزُورُنَا وَعَلَيْنَا أنْ نُحْسِنَ اسْتِقْبَالَهُ، وَمَا إنْ أنْهَى كَلاَمَهُ حَتّى دَخَلَتْ مُمَرِّضَةٌ فِي يَدِهَا حَقِيبَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَمَامَهَا رَجُلٌ طَوِيلُ القَامَةِ عَرِيضُ الكَتِفَيْنِ ،أَسْوَدُ الشّعْرِ، مُسْتَدِيرُ الوَجْهِ ذُو عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَتَيْنِ تُشِعّانِ نَشَاطًا وَفِطْنَةً وَقَدْ ارْتَدَى قَمِيصًا نَاصِعَ البَيَاضِ فَزَادَهُ هَيْبَةً وَوَقَارًا. مَا إنْ وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهِمَا حَتّى ارْتَعَدَتْ أوْصَالِي خَوْفًا وَذَابَ قَلْبِي وعَقِلَ الرّعْبُ لِسَانِي فَغَابَ صَوْتِي وَجَفّ حَلْقِي.

بَعْدَ أنْ رَحّبَ مُعَلّمُنَا بِالطّبِيبِ وَمَنْ مَعَهُ، تَنَظّمْنَا فِي صَفٍّ طَوِيلٍ وَبَدَأ الطّبِيبُ فِي فَحْصِنَا الوَاحِدَ تِلْوَ الآخَرِ وَقَدْ عَلَتْ عَلَى وُجُوهِنَا صُفْرَةٌ وَشُحُوبًا مِنْ شِدّةِ الهَلَعِ، أمّا أنَا فَقَدْ كُنْتُ كُلّمَا تَقَدّمَ الصّفّ أحْسَسْتُ بِقُرْبِ الخَطَرِ فَيَزْدَادُ خَوْفِي وَتَكْثُرُ هَوَاجِسِي وَتَتَبَدّدُ أحْشَائِي حَتّى أنّنِي أحْسَسْتُ بِدَمِي يَتَجَمّدُ فِي عُرُوقِي فَاصْطَكّتْ أسْنَانِي وَأصْبَحْتُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الحَرَكَةِ مِنْ شِدّةِ الهَلَعِ، وَكُنْتُ أتَفَحّصُ وُجُوهَ أصْدِقَائِي بِأعْيُنٍ دَامِعَةٍ فَأرَى شُحُوبًا فِي وُجُوهِهِمْ لَمْ أرَى مِثْلَهُ فِي حَيَاتِي كَيْفَ لا وَالمُمَرِّضَةُ تَحْمِلُ فِي يَدِهَا هَذِهِ الحُقْنَةَ العَجِيبَةَ. لَمْ يَزِدْنِي هَذَا المَنْظَرُ إلّا خَوْفًا وَفَزَعًا فَارْتَجَفَتْ كَالقَصَبَةِ لِهَوْلِ مَا يَنْتَظِرُنِي وَأخَذْتُ أتَقَدّمُ بِخَطًى مُتَثَاقِلَةً أقَدّمُ رِجْلًا وَأخّرَى إلَى الوَرَاءِ. لاَحَظَ الطّبِيبُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ذُعْرٍ فَحَاوَلَ طَمْأنَتَنَا قَائِلًا: "لا تَخَافُوا يَا أبْنَائِي إنّ التّلَقِيحَ أمْرٌ بَسِيطٌ لَا يَسْتَحِقّ كُلّ هَذَا الرّعْبِ."

موقع 9raya.tn

سَمِعَ مُعَلِّمَنَا ذَلِكَ فَارْتَسَمَتْ عَلَى ثَغْرِهِ ابْتِسَامَةٌ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِنَا بَعْضَ الطُّمَأْنِينَةِ وَأَضَافَ بِصَوْتٍ هَادِئٍ: "إِنَّ التَّلَقِيحَ مَهْمَا كَانَ مُخِيفًا فَهُوَ أَقَلُّ أَلَمًا مِنَ الأَمْرَاضِ الَّتِي تُهَدِّدُ صِحَّةَ الإِنْسَانِ، فَالصِّحَّةُ تَاجٌ عَلَى رُؤُوسِنَا مِنْ وَاجِبِنَا الحِفَاظُ عَلَيْهِ."

نَزَلَ عَلَيْنَا هَذَا الكَلَامُ نُزُولَ الغَيْثِ النَّافِعِ عَلَى العُشْبِ اليَابِسِ خَاصَّةً حِينَ نَظَرَتْ لَنَا المُمَرِضَةُ بِعَيْنَيْنِ تَفِيضَانِ عَطْفًا وَ حَنَانًا وَ قَالَتْ:" إِنَّ وَخْزَةَ الإِبْرَةِ كَوَخْزَةِ الذُّبَابَةِ لَا يَدُومُ أَلَمُهَا بَلْ بِالعَكْسِ فَهِيَ تُقَوِّي المَنَاعَةَ وَ تُحَصِّنُنَا مِنَ الأَمْرَاضِ وَ كَمَا يُقَالُ: "أَلَمُ لَحْظَةٍ وَ لَا عَنَاءُ شَهْرٍ."

مَا إِنْ أَنْهَتِ المُمَرِّضَةُ كَلَامَهَا حَتَّى تَذَكَّرَتْ كَلَامَ أَبِي حَوْلَ الأَمْرَاضِ الَّتِي كَانَتْ تَفْتِكُ بِصِحَّةِ الإِنْسَانِ قَبْلَ اكْتِشَافِ التَّلَاقِيحِ، فَتَمَلَّكَتْنِي حَمَاسَةٌ غَرِيبَةٌ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى المُمَرِّضَةِ مُشَمِّرًا عَنْ سَاعِدَيَّ، فَمَسَحَتْهُ بِصَبْغَةِ اليُودِ وَوَخَزَتْنِي بِإِبْرَةٍ صَغِيرَةٍ فَنَظَرْتُ إِلَى أَصْدِقَائِي نَظْرَةَ المُنْتَصِرِ فَتَحَوَّلَ خَوْفُهُمْ إِلَى طُمَأْنِينَةٍ وَتَدَافَعَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِمْ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ الأَشْجَعُ.

موقع 9raya.tn